جماليات الإخراج المسرحي والسينمائي في تصوير مقاومة المرأة في المجتمع الجزائري

Aesthetics of theatrical and cinematic directing in depicting women's resistance in Algerian society

فاسي سعيدة[1]*، بن إبراهيم اميمون[2]

[1] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، saidahabbel@gmail.com

[2] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، artembrahim@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/04/25 تاريخ القبول: 2023/06/16 تاريخ النشر: 2023/06/26

ملخص:

سلطت كل من الأعمال المسرحية والسنيمائية الجزائرية الضوء على المسكوت عنه في بيئة كالبيئة الجزائرية نذكر منها واقع المرأة الأم، الزوجة، الأخت، الابنة، المرأة والعمل المرأة والكفاح، المرأة والظلم.

فصورت آلامها، اضطهاداتها، طموحها وكذا مقاومتها رغم كل أنواع العنف المسلطة عليها التي فرضتها جملة العادات والتقاليد البالية ايمانا منها بمكانتها الفعالة في صناعة الحاضر واستشراق المستقبل وصناعة الحياة بكل أبعادها وجوانبها.

فخلقت صورا ذهنية بقت وستبقى ثابتة في عقول الجماهير العالمية عامة والجزائرية خاصة للتعلم من تجربتها من خلال اعمال أبدع فيها مخرجين سينمائيين ومسرحيين.

الكلمات المفتاحية: المخرج المسرحي، المخرج السنيمائي، السينوغرافيا، الفضاء المسرحي والسنيمائي، المرأة والنضال.

Abstract:

Both the Algerian cinematic and theatrical works shed light on what is silent in the Algerian milieu , from which we mention the reality of the woman as a mother , as sister and adaughter. Facing works, struggles and injustice. It deals with her persecution her ambition and resistance despite all kinds of violence practiced on her, which unfortunately were imposed by a set of outdated customs and traditions, believing in her effective position in making the present, orientalism of the future, and making life in all its dimension and acpects and it created mental images or opinion that remained and remain constant in the minds of the global masses in general and the algerian women in particular, pushing them learning drom her exorience through aes thetice of the show in all theatre and cinematic space in which theatre and cinematic directors have got created.

Keywords: theatrical director, cinematic director, scenography, theatrical and cinematic space, women and struggle.

مقدمة

يعتبر كل من المسرح والسنيما من الفنون الجماعية التي تتطلب كتاب ,مخرجين ,وفنانين فهما من أكثر الفنون نضجا في صناعة وعي البشر و تاي اهميتهم في تشكيل الوعي و الفكر لدى المتلقي من خلال محاكاتهم الاحاسيس وحشد الانفعالات و من ثم بثها في الافاق الاجتماعية رافعان مستويات الوعي والفكر في الكثير من الامور و الموضوعات المختلفة التي تشغل المجتمع .فاكتسب كل منهما لغته الخاصة باختلاف طبعا مدارس الاخراج المسرحي والسينمائي، وكذا الايديولوجيات الفكرية والثقافية المختلفة على حسب الافراد والشعوب اللذين اصبحوا يفضلون هذان النوعان من الفن عن غيرهم من الوسائل للتعرف على ذواتهم و مجتمعاتهم من خلال اعمال بسيطة وواضحة تساهم في تشكيل الوعي الفردي والجماعي وذلك من خلال تأثيرهما على عمليات الادراك و الشعور و تشكيلهما للرؤى الخاصة بالحياة و لامتلاكهما عناصر شتى تعتمد على الكلمة و الصورة والحركة و العناصر الجمالية المختلفة .

فأصبح المسرح والسينما الراعيان الاولان في التأثير على الافراد والوصول الى الراي العام بأقصى سرعته.

فما هو الإخراج المسرحي والإخراج السينمائي

المسرح فن يقوم على ثلاثة عناصر أساسية وهي النص، الممثل، والجمهور، ولكي تتحقق هذه النتيجة المرجوة من العمل المسرحي لابد أن يكون هناك شخص ينسق بين جهود جميع الفاعلين وقيادة فريق العمل لجعلها صوتا واحدا متناغما وفق عمل يعتمد على مبادئ الفن وقواعده العامة. هذا الشخص هو المخرج.

فالمخرج هو الشخص المنوط به ربط جميع عناصر العمل المسرحي مع بعضها البعض من خلال رؤيته الخاصة.

وفيما يخص الإخراج المسرحي فهو لغة لها مفرداتها ودلالاتها ومصطلحاتها وإيحاءاتها وتعد لغة موازية مترجمة للغة النص المسرحي لكنها لا تظل على هذا الحال بل تتحول إلى تفاعل بين النص وإخراجه فلا يحدث أي انفصال بينهما أي بين الأفعال والأقوال والكلمة والحركة بل تبدو في النهاية وحدة متكاملة في فضاء مسرحي واحد على الرغم من تعدد عناصرها لأن الإخراج المسرحي يعد هدفا استراتيجيا لكل عرض مسرحي ففيه يتم تحويل النص المكتوب إلى عرض مرئي يتجاوب معه الجمهور ويتفاعل معه لأن النص يحيا بالعرض والعرض يحيا بالجمهور. ولكي يتم ذلك يلجأ المخرج إلى العديد من الآليات والقواعد التي تساعد في الوصول إلى مبتغاه مستندا على الممثل، الموسيقي، الإضاءة، والملابس وغيرها من المقومات التي يتفاعل معها داخل المبنى وفضاء خصص لهذا الغرض[1].

. ماهية الإخراج السنيمائي

تعد العملية الإخراجية ثاني مرحلة بعد الكتابة السيناريو للفيلم حيث تعمل على تجسيد ما ورد في السيناريو من أحداث وشخصيات.

تنتقل هذه العناصر من المتن المكتوب إلى تصوير المشاهد وتصبح بذلك قابلة للمشاهدة بعدما تتفاعل جميع مكونات العرض السنيمائي مشكلة الصورة النهائية.

تقتضي العملية الإخراجية السنيمائية جهدا معتبرا سواء من الناحية الفكرية أو من الناحية الجمالية حيث يقوم المخرج بإعطاء تصور عام حول كيفية إخراج الفيلم وتسمى هذه العملية بالرؤية الإخراجية حيث يسعى المخرج إلى تحقيق الموضوعية الفيلمية وذلك من خلال عناصر إخراجية يشارك فيها مجموعة من الفنانين, والتقنيين مثل: مصمم الديكور، الممثلين، مؤلف الموسيقى، مهندس الصوت، مهندس الإضاءة ,والمشرف على المونتاج، فالاستخدام المكثف والتصوير والمؤثرات الخاصة تساعد على الاستفادة من الأساليب المقدمة في عملية المونتاج.

يستخدم المخرج كل هذا وذاك للوصول إلى النتيجة المرجوة وتحقيق الغاية من العمل الفني. إن السنيما بوصفها جامعة بين كونها رواية ومنتجة للصور أيضا تقوم بنقل الواقع كما هو بل شدرات على سرد من نوع خاص كما تحتاج إلى إمكانيات ضخمة مثل الديكور، آلات التصوير، وغيرها من المتطلبات المادية الهائلة إضافة إلى فريق العمل الذي نجده في المسرح.[2]

وبالنسبة للسينما الجزائرية يعود تاريخها إلى البدايات الأولى للسينما العالمية حيث كانت الجزائر مسرحا للسينماتوغراف منذ نشأته في أواخر القرن التاسع عشر إذ كلفا "أخوان لوميير" المصور "فليكسمسعشر" بتصوير مشاهد من الجزائر فكانت قائمة الأشرطة طويلة ثم عرضت سنة 1897. ويعود له الفضل في ظهور أول عمل وثائقي مصور حول حرب التحرير الوطني المعنون بفيلم" الجزائر تحترق". فرغم قلة الأفلام الجزائرية انذاك الا انها استطاعت أن توجد لها مكانة في المحافل السينمائية الدولية وأشهرها فيلم "وقائع سنين الجمر" لمخرجه لخضر حامينا الذي نال جائزة السعفة الذهبية بمهرجان كان في فرنسا سنة 1975.[3]

وعن علاقة البدايات الأولى للسينما الجزائرية بحرب التحرير الوطني فقد أخذت المرأة الجزائرية نصيبها في العديد من الأعمال إذ أحدثت مشاركتها في الكفاح المسلح إلى جانب الرجل انقلابا جذريا في المفاهيم والأفكار وقد استقبل جيش التحرير المرأة المجاهدة باعتزاز وفخر واحترام وهي التي وهبت نفسها في سبيل تحرير الوطن واعتبرت بنت جيش التحرير الوطني فبرزت شخصيتها وأدركت أنها تعيش في عالم جديد يسوده الصفاء والإخاء وهذا ما أشاد به مؤتمر الصومام المنعقد في أوت 1956م، إذ جاء في مقرراته "إننا لنحيي بإعجاب وتقدير ذلك

المثل الذي نضرب به في الشجاعة الثورية الفتيات والنساء والزوجات والأمهات. ذلك المثل الذي نضرب به جميع المجاهدات اللاتي يشاركن نشاط كبير بالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس في سبيل تحرير الوطن. [4] ومن الأعمال السنيمائية التي صورت نضال المرأة نذكر:

أ.على المستوى السنيمائي المرأة الجزائرية والكفاح المسلح :

أفضل مثال لمقاومة المرأة الجزائرية للمستعمر فيلم "لالا فاطمة نسومر"للمخرج" بلقاسم حجاج ".فمن تكون هته الشخصية

"لا لا فاطمة نسومر "من ابرز وجوه المقاومة الشعبية الجزائرية في بدايات الغزو الفرنسي للجزائر من 1854 الى 1857 يوليو.اسمها الحقيقي" فاطمة سيد احمد" لقبت بنسومر نسبة الى قرية نسومر التي كانت تقيم فيها.

عرفت البطلة بتضحياتها وفدائها كما انها لم تنخرط في الحرب ضد المستعمر فحسب بل كانت أحد القادة الذين ينظمون الصفوف ايضا.

اول معركة قادتها ضد المعمر الفرنسي كانت عام 1854 في واد سيباو وعمرها لا يتعدى 24 سنة. وتقول الرواية ان القوات الفرنسية في هذه المعركة كانت على وشك انزال الهزيمة بقائد المقاومة " محمد الامجد بن عبد الملك" المعروف "ببوغلة" حتى تدخلت "نسومر" واندفعت ببسالة صوب المستعمر.

فتجمع ورائها الجزائريون وهزموا الجيش الفرنسي بحصيلة 800 قتيل من بينهم 56 ضابط .فضلا عن 371 جريح. وعلى اثر ذلك دعا " راندون" الى وقف اطلاق النار الذي قبلته فاطمة نسومر لتعزيز دفاعاتها.[5]

فسينيمائيا ترجم مخرج الفيلم نضال المراة الجزائرية وكفاحها بل ذهب لابعد من ذلك من خلال مساواتها ومساندته لها فظهرت في مجالس الشيوخ الى جانب اخيها .وبفضل حكمتها استطاعت ان تجمعهم تحت لواء واحد خاصة لما خارت قوتهم ونال منهم الجوع و المرض ويئسوا امام عدو قوي .فاقنعتهم نسومر ان الموت بشرف اهون بكثير من الرضوخ و الاستسلام للعدو .وهاهو اخوها الطاهر يهديها برنوس كرمزية عن احترامه للمرأة و الاعتراف بملكتها ,معارفها ,وقدراتها.

وعن جماليات العرض للفضاء السنيمائي ساهم الفريق المكلف بالديكور الذي أشرف عليه كل من" رمضان كسار" ,"وبريجيت بوزناف" في إعطاء صورة واقعية للقصة فقاموا بإعادة إعمار القرى واختيار إعدادات أصلية لتكون أكثر ملائمة مع تلك الفترة و قدما عملا دقيقا على الزي والملابس فوفقا في عملهما وأعطيا ألوانا رائعة تعكس عادات وتقاليد منطقة القبائل في تلك الفترة.[6]

وضمن طاقم العمل كذلك نجد الموسيقار المعروف "صافي بوتلة" الذي أبدع في عمله وأنجز موسيقى تصويرية متقنة مستمدة من التراث الموسيقي القبائلي بأسلوبه العصري الذي يتحكم فيه بكل طلاقة.

واعتمد حجاج على مدير تصوير معروف وهو صاحب رصيد ثقيل بالاعمال الكبيرة ويتعلق الأمر " ببورغوس آرفانيست" الذي يعد من أبرز مديري التصوير حضورا في السينما المعاصرة .اعتمد على المشاهد الكبيرة التي تبرز جمال طبيعة البلاد والمنطقة من خلال لون سمائها الذي يعانق قمم الجبال الشامخة فكانت صورة الريف القبائلي في غاية الدقة والوضوح .كما أبدع بدوره "محمد بن حموش" المعروف باسم "بن محمد" في إعادة كتابة النص باللغة الامازيغية وهي اللغة الام لكي يكتسب العمل السينيمائي واقعية اكثر.[7]

وفي ظل الحديث عن نضال المرأة الريفية القبائلية ابان الاستعمار الفرنسي يستوقفنا عمل سينيمائي آخر للمخرج أحمد راشدي المعنون بـ فيلم "الأفيون والعصا" الذي انتج عام 1969.

طرح الفيلم صورة عن المرأة الريفية القبائلية التي لم تفلت بدورها من المعاناة ,التعذيب ,والقهر الذي مورس في حقها من قبل المحتل .

وهذا ما ظهرت به صورة مجموعة من النساء المكبلات الأيادي واللاتي سقن من أجل التعذيب وهو حال الأخت" فروجة "التي عذبت وأهينت من طرف المحتل رغبة منه في استنطاقها وجعلها تعترف بكل ما تعرفه عن أخويها وعن المجاهدين لتجسد بذلك صورة المرأة الجزائرية الصامدة المتحملة لكل أشكال التعذيب والاهانة دون أن تنطق بحرف.[8]

على المستوى المسرحي :

لعب الفضاء المسرحي دورا كبيرا في تصوير المرأة الجزائرية الحرة المناضلة المقاومة للعدو في عدة أعمال نذكر على رأسها مسرحية "الجميلات" هكذا اختارت" سكينة مكيو "المعروفة باسم "صونيا "أن يكون عنوان العرض. واختيار هذا النص بحسب مخرجته لم يكن عبثا لأن الحديث في النضال الجزائري عادة ما يقتصر على ذكر الرجل غافلا لدور المرأة فيه ومختصر إياها في اسم المناضلة "جميلة بوعرزة" و "جميلة بوطوشة".

فالعرض يصور نضال المرأة الجزائرية ابان فترة الاحتلال وأيضا مساءلة أسباب تغييبها عن المشهد السياسي بعد الاستقلال إذا لم تتبوأ مناصب حساسة بينما أدى المجتمع الذكوري دورا في قمع وجودها اجتماعيا وما تبعه من مخلفات التطرف الذي عاشته الجزائر في العشرية السوداء.

وهذا ما أوضحته كاتبة النص" نجاة طيبوني" بلغة مباشرة وهي تكتب في كلمتها كتقديم للمسرحية قالت: "رجال ونساء ضحوا من أجل هذا الوطن العزيز فاطمة نسومر قادت رجالا في ساحة الفداء وعلي لابوانت لم يقل لحسيبة انت امرأة ليس لك الحق في الاستشهاد والمستعمر حين حكم بالإعدام لم يفرق بين الرجل والمرأة »

هكذا قالت المسرحية بالصوت والصورة المسرحية والكوريغرافيا في علبة إيطالية اختارت المخرجة تحريك الشخوص الخمسة فكانت الممثلات المخضرمات :ليندة سلام، لعريبي ليديا هواري رجاء، رفقة منى بن سلطان

وأمال حنيفي جميلات العرض، يرفع الستار على خلفية جدارية كتبت فيها المرأة الجزائرية رفقة الرجل الطموح والأمل بالحرية .تروح نسوة الجزائر بلباسهن الذي دل على تعدد المناطق والثقافات من عاصمي إلى بقية الربوع مسدس واحد ينتقل بينهن وقصص تختلف وتجتمع في نقطة واحدة وهي باب زنزانة "سركاجي" السجن الأشهر تعذيبا في ممارسات فرنسا الوحشية أواخر سنة 1961.[9]

حيث تقبع خمس مجاهدات جزائريات؛ رقية مصمودي، فضيلة سعدان، بنت الشيخ الحسن، زوليخة شايب ، لالا فاطمة نسومر ؛ السجن بانتظار تنفيذ حكم الإعدام فيهن، فكان عليهن قتل لحظات الفراغ والانتظار باسترجاع شريط حياتهن عن طريق "التشخيص". بأسلوبية المسرح داخل المسرح التي ابتكرها الإيطالي "لويجي بيراند لو" "فرحن يسترجعن آلامهن, بطولتهن , أحلامهن في الحرية والاستقلال. فتناغمت خطة مخرجة العرض مع ثلاثية المعمار المسرحي، حيث أقامت الكاتبة نصها على ثلاثة مستويات من التعبير حول الشخصيات باللهجة المحكية والمونولوجات المنعزلة لكل ممثلة للتعبير عن حالتها ومشاعرها، وأخيرا الديالوج الذي جاء حارا ساخنا بحجم القضية التي تناقشها المسرحية تمثلت في حركة حارس السجن في خلفية الديكور وحركة الممثلات المناسبة والتشكيلات الهندسية بالجسد.[10]

كانت الممثلات الخمسة بثيابهن الرمادية الممزقة يتقلبن بين قضبان منصوبة وسط الخشبة بحركاتهن كقطع الشطرنج على وقع سرد حكائي، حيث تتوالى كل بطلة الحديث عن تجربتها النضالية ومعاناتها داخل سجن "سركاجي" الذي شهد اعتقال وتعذيب النساء المجاهدات خصوصا المحكوم عليهن بالإعدام.

كما كان لحركة القطع الديكورية والصوت الخارجي واستخدام مقاطع من الموتيفات الشعبية والاغنيات الوطنية للراحلة وردة الجزائرية دور كبير في ازكاء الروح الوطنية حتى لحظة التحرير التي لعبت فيها الإضاءة دورا استثنائيا في مشهد احتفالي حينما تفتح أبواب السجن وتظهر المجاهدات بملابس بيضاء منطلقات مثل الحمامات على وقع موسيقى شعبية جزائرية من أداء ولحن الجزائري "الحاج محمد العنقا" الحمد لله ما بقاش استعمار في بلادنا". فيها تصيح بطلة العرض" ليديا لعريبي "ومعها بقية الممثلات بهذه الأبيات الشعرية التي تكرم الحرية والمجاهدة الجزائرية:« نطلع فوق راس الجبل ونفتح يدي للسما، ونعيط بقوة جهدي صباح الخير يا بلادي الحرة صباح الخير ياجميلة الجميلات، نحبك حتى تذبل الروح ويفنى الوجود » .

وربما يكون أجمل ما في هذا العرض هو تماسكه الشديد وإنسيابية إيقاعه على الخشبة في إطار مونولوج مسرحي طويل بلا تقطيعات للكشف عن قيمة المسرح حينما يتقاطع مع الثورة وتأكيد الكاتبة والمخرجة على هوية الشخصيات الوطنية وهذه قيمة فنية "انفرد بها" شكسبير" في واحدة من أروع كلاسيكياته "روميو وجولييت" من

خلال أداء هادئ وشغل مسرحي يقوم على دمج لواحق العرض (إضاءة، ديكور، موسيقى) في دواخر الممثلات بعد أن أمعنت في إذكاء الجانب الإنساني لديهن.

وهو ما رفع من قيمة العرض فنيا وجماليا وأزاح الخطاب السياسي المباشر بعيدا، ولهذا جاء العرض متميزا بإخراجه ضمن تيار الواقعية الجديدة وبقوة الأداء النسوي.)[11]

وبدوره أضاف الناقد" فتح النور بن ابراهيم"للأخبار : "مسرحية الجميلات وقفة اعتراف وتقدير وشكر لكل جميلات الجزائر اللواتي ضحين من أجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة بقدر احترامنا لمسار المجاهدات ابتهجنا بالأداء البارع للمثلات اللواتي جسدن دورهن بكل إبداع و اللاتي تأثرن بالرؤية الفنية لصونيا التي لم تكتف بإخراج العمل ركحيا بل أضفت عليه روحا كرمت من خلاله كل شهيدات الثورة ومجاهداتها نقول أنها أحسن مسرحية قامت بتكريم المجاهدة الجزائرية وفكرة الحرية من خلال خطاب مسرحي هادئ، واهتمام دقيق بجزئيات الأحداث والحالة النفسية للشخصية وفكر يستمد قوته من عصره مستعينا بكل مفردات تكنيك المسرح المعاصر من حركة وأداء وموسيقى وغناء وفكاهة في بعض المواقف وتلميحات إلى ما يمكن أن يحدث بعد الاستقلال."

الجميلات بكل بساطة صيحة جديدة في المسرح الجزائري فالممثلات كنا جميلات المظهر والعقل والكفاح وهو ما ساعد في رسمه على الخشبة السينوغرافي حبال بوخاري.[12].

2. المرأة الجزائرية والعشرية السوداء

ما لبثت الجزائر أن تعيش وتتذوق طعم الحرية التي تكبدت عناء الحصول عليها بعد مائة واثنان وثلاثين سنة تحت وطئ الاحتلال وتعسفه ونيلها الاستقلال الذي استحقه ابناؤها بفضل تكتلهم لطرد المستعمر الفرنسي إلا أن تغيرت الاوضاع وخيبت الآمال المرجوة من الوطن الحر نتيجة تردي الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية والسياسية وما زاد الطين بلة هو تشتت فئات المجتمع وتناحر جهات الحكم فيها بالإضافة إلى تدني المستوى الثقافي بين أفراده وسيادة الفقر والحرمان على أغلبهم فقد ورثت الجزائر بعد الاستقلال وضعا اقتصاديا كارثيا كنتيجة منطقية للاستعمار الطويل في سنوات الحرب المدمرة . فخلفت مجتمعا جديدا من سماته الأساسية الفقر والحرمان الاقتصادي والثقافي اللذان مسا أغلبية أعضائه, كان لهذه الظروف بالغ الأثر في عدم سير الدولة الجزائرية نحو مستقبل مشرق رغم المجهودات المبذولة من قبل الجزائريين في إعادة تشييد الدولة الا ان غرق الجزائر مجددا في حرب محلية دامية سميت بالعشرية السوداء .[13] فقامت الجماعات الإرهابية المسلحة بأعمال حربية منها التفجيرات في الأماكن العامة مهاجمة السكان المدنيين، الاغتيالات, المذابح ,وعمليات الاختطاف وغيرها من الاعتداءات.

ولم تنجو المرأة من كل هاته الانتهاكات والجرائم الإنسانية. فعانت بدورها جسديا و نفسيا خاصة من جراء الممارسات الجنسية الجماعية الوحشية التي ارتكبت في حقها.

ظف إلى العنف العاطفي بسبب اعتقال وفقدان أعداد كثيرة من الرجال تاركين وراءهم زوجات أمهات أخوات وبنات. فأصبحت المرأة المتحملة الوحيدة للحالة الاجتماعية والاقتصادية الصعبة للعائلة إذا لعبت دور المرأة والرجل معا. ومن الأعمال السينمائية والمسرحية التي صورت معاناة ومقاومة المرأة الجزائرية في العشرية السوداء نذكر:

ا/ على المستوى السنيمائي :

يعود المخرج رشيد بلحاج في فيلمه "عطور الجزائر" بموضوع جزائري يروي قصة مأساة أسرة جزائرية خلال السنوات العنيفة والمرعبة أو ما يعرف بالعشرية السوداء من خلال عيون الممثلة التي تلعب دور "كريمة" فهي مصورة ناجحة تركت الجزائر لتعيش في فرنسا للفرار من عائلة "السي أحمد" الذي يجسد شخصية الأب المتسلط المتصلب في أفكاره حتى مع ولديه "كريمة" "ومراد" كأب مجاهد الذي يعتبر جيل ما بعد الاستقلال غير قادر على تقدير عقل الجيل الذي أهدا البلد استقلاله حتى ذلك الوفاء أو الاحتواء الذي يمنحه "سي أحمد" لابنة صديقه في الجهاد "سامية" بعد وفاة والدها يبدو مع عقدة الفيلم كاذبا حيث يقوم "سي أحمد" باغتصاب "سامية" في مشهد استطاع المصور "ستورارو" أن يمتص فاجعته بألوانه الحارة.

حادثة الاغتصاب تمثل العقدة التي أفاضت كأس صبر كريمة ضد عقدة أوديب وأفاضت كأس هؤلاء مراد الذي يتزوج سامية لتطيب جراحها لكن جراحه وجراح وطنه تنفتح بعد ذلك مع العشرية السوداء.

هذه التعقيدات تعود بشكل بانورامي مع خط سير الحكاية بتقنية الفلاش باك لتفسر الشرح النفسي الذي أصاب كريمة مع وطنها التي تقول في لقاء تلفزيوني مع قناة فرنسية أنها لا تنتمي إليه وأنها قطعت كل صلة به.[14] فهي التي هجرت بلادها منذ 20 عاما وأقامت في باريس وتزوجت ونسيت هذا الماضي حتى أنها حذفت اللغة العربية من ذاكرتها إلا أن الماضي ظل يلاحقها. بحيث تضطرها مكالمة من والدتها التي تقمص دورها الممثلة القديرة "شافية بوذراع" للعودة إلى الوطن المنسي.

كريمة التي تعيش اغترابا داخليا وخارجيا حتى في علاقتها مع محيطها الفرنسي تدخل بيتها القديم في العاصمة الجزائرية بريبة العودة على وقع رصاص سنوات الدم لتكتشف بيتا جديدا خاليا من سلطة أب يرقد في المستشفى لكنه عابر سلطة أخرى فرضتها أزمة الوطن أزمة تتضح ملامحها مع حجاب الطفلة الصغيرة ابنة سامية ومراد الذي اعتقل وسيواجه عقوبة الاعدام بعد التحاقه بجماعة الإرهاب وتورطه في أعمال قتل الأبرياء مع زملائه المتشردين حيث صرح لأخته في زيارتها له رفقة زوجته وابنته أنه سعى لتحرير البلاد من أعداء الله.

وفي طريق العودة يوقفهم مسلحون فرحين بالصيد يهتف كبيرهم مشيرا إلى ان كريمة نصرانية كافرة فتبكي زوجة أخيها المحجبة وتتوسل إلى الأمير أن يتركها فهي مسلمة وتذكر كمال احد المسلحين أنه كان جارهم وأكل في بيتهم وأنها زوجة مراد فيسمح لها بالمرور عبر طريق جبلي فيحصد الرصاص قائد السيارة وركابها وتصيب أحدى الطلقات زوجة أخيها من الخلف فتموت وينتهي الفيلم بمظاهرات النساء .ولم تتردد كريمة أن تشارك فيها رفقة ابنة أخيها كما وثقتها بالكاميرا والنساء ينادين بحقوق المرأة ويهتفن الجزائر حرة ديمقراطية.

وفي هذه الجولة المؤلمة حاول المخرج إثارة الكثير من القضايا أولها قضية المرأة التي تعمل باستمرار على فرض وجودها ومكانتها في مجتمع يشكو من فقدانه حرية التعبير والنزاع بين الأجيال في نفس الوقت استطاع رشيد بن حاج رسم صورة جميلة عن الجزائر من خلال عدسة المصور الإيطالي الشهير فيتوريو ستوروارار الذي أبدع في التصوير من خلال اختراق زوايا تصوير لم تصلها كاميرا الجزائر من قبل وهو الذي يسمى في التصوير السنيمائي ب كتابة الضوء وهي الفكرة التي جسدها بجمالية مع المخرج رشيد بن حاج في فيلمه "عقور الجزائر".[15]

ب.**على المستوى المسرحي :**

مسرحية بهيجة قصة مستوحاة من رواية السيدة ليلى عسلاوي من دون حجاب الصادرة عن دار النشر دار اليمن.

فاز هذا العمل المسرحي بجائزة أفضل نص مسرحي خلال الأيام المسرحية لقرطاج

يعتبر هذا العمل من أهم الأعمال المسرحية التي أسالت الكثير من الحبر في الوسط المسرحي الجزائري بعودة اسم لمخرج كبير وثانيا العاصفة التي خرقتها تصريحات من هنا ومن هناك على هذا العمل والذي اعتبر البعض كذلك في حالة نجاحه سيسجل انطلاقة فعلية وعودة المسرح الجزائري إلى الواجهة من جديد وهو من بطولة الفنانة نضال عباس محمد اسلام نسرين بلحاج ومراد أوجيت.[16]

واعتمدت رواية ليلى عسلاوي على سرد الواقع الذي عاشه الجزائريون طيلت سنوات وتمكن زياني الشريف عباد من تجسيد ما جاء في الرواية إذ كشف من جانبه بأنه ومنذ بداية تخصصه في الإخراج المسرحي كان يستهدف دائما الروايات والقصص المبنية على أسس واقعية فيجعل منها أعمالا مسرحية تقدم أمام المتلقي الذي يجد فيه واقعا يعيشه أو عايشه ما يجعله متلقي مندمج ضمن العمل.

فمسرحية "بهيجة " التي أنتجها المسرح الوطني الجزائري رفقة مسرح" القوسطو "تدافع عن المرأة الجزائرية التي وجدت في مجتمع غرق في العنف وشتته الخلافات السياسية والعقائدية وسط ديكور طغى عليه الأسود وإضاءة طفيفة.

تتأزم الأحداث خلال المسرحية وتتأزم بالتوازي معها حياة بهيجة لتصل إلى حد تساءلت فيه المرأة هل هناك أمل؟

تروي المسرحية قصة امرأة خلال العشرية السوداء وتظهر في جلبابها الأسود تحكي مأساتها في زمن ساد فيه الظلم والعنف والخوف.

وبعد أن انقطعت عن الدراسة وجدت نفسها بين أربع جدران ما دفعها إلى قبول الزواج برجل يكبرها بعدة سنوات للهروب من واقعها ومن أخ متسلط لتقع بين أنياب رجل أكثر سلطة وظلما وعنف.

ثم تتوالى الأحداث وتنتقل" بهيجة "إلى فرنسا للقاء ابنتها نورية التي تزوجت بالفرنسي توما سيرا على درب عمتها المجاهدة التي تزوجت هي الأخرى باتريك.

وبالرغم من كل هاته الأوضاع تسعى جهيدة للبحث عن أختها المجاهدة التي اختفت في حرب التحرير الوطني في مدينة لم تعد تتعرف عليها رغم سنوات العمر التي قضتها فيها إلا أن الحقيقة التي ستصل إلى اكتشافها ستشكل خطرا عليها وتهديدا يطال حتى أمها. وفي الوقت التي تواجه فيه بهيجة كل المخاطر المتربصة بها من كل جانب سعت بكل ما أوتيت من إمكانيات لاتصال مجددا بابن لطالما شعرت بالذنب لفقدانه. إما أنها تصلها رسالة في شوارع باريس فهمت من فحواها أن ابنها الذي انقطعت أخباره انضم إلى صفوف الارهابيين حدث هذا حين تنقلها إلى فرنسا للقاء ابنتها نورية فمسرحية جهيدة هي دفاع عن المرأة الجزائرية من جهة ونضالها ضد العنف والتعلم والارهاب من جهة أخرى.[17]

3.المرأة الجزائرية والحراك الشعبي:

شهدت الجزائر منذ 22 فبراير 2019 احتجاجات جماهرية في معظم مدن الوطن للمطالبة بالقضاء على الفساد والظلم وبناء جزائر جديدة.

وما لفت الانتباه هو حضور المرأة الجزائرية ومشاركتها بفاعلية في الحراك الشعبي. فسجلت ظهورا بارزا في طليعة المسيرات والمظاهرات جنبا إلى جنب مع الرجل وقد تميز اسهامها في غالب الأحيان بالتعالي عن المطالب الفئوية الخاصة معبرة بذلك عن نضجها السياسي.

حملت المرأة الجزائرية طيلت مسار هذا الحدث شعارات متنوعة منتجة لخطابات عميقة فتوجهت الى الساحات العامة وادلت بصوتها ورأيها في الشأن العام بخطوة عميقة نحو تمدين الدولة والمجتمع وزرع قيم المواطنة والديمقراطية والمساواة.

ومن بين الأعمال السينمائية والمسرحية المعبرة عن هته المشاركة الفعالة للمرأة الجزائرية نذكر:

أ.على المستوى السنيمائي :

فيلم" نرجس " للمخرج الجزائري البرازيلي" غينوز "يعود فيه إلى الحراك الشعبي الجزائري السلمي.

في عام 2019 اختار عينوز يوم 08 مارس الذي يصادف يوم المرأة العالمي لتصوير فيلمه الذي امتلأ بأصوات الشخصيات النسائية التي تحدثت عن أهداف الحراك بدءا بوجهات نظر بطلته الرئيسية وانتهاءا بآراء وصيحات وشعرات حشد الأمهات المشاركات فيه.

قدم لنا المخرج فيلما وصفيا ابن لحظته وكان صريحا على توثيق هذه اللحظة والتقاط نبضها وحيويتها اختار الفتاة نرجس عسلي الفنانة المسرحية الشابة التي تعمل بدوام جزئي في كافتيريا المسرح والناشطة في الحراك المدني بوصفها نموذجا لشريحة الشباب التي تقف وراء هذا الحراك.[18]

لقد وجد "عينوز" في نرجس خلاصة المجتمع الجزائري بين ماضيه وحاضره فالشابة تعيش في باش جراح الحي الشعبي الذي يعيش فيه الكثيرون من الطبقة العاملة الجزائرية. ولدت في حقبة العنف الدموية التي عاشتها الجزائر في التسعينات المعروفة محليا بالعشرية السوداء. وتنحدر من عائلة ناضلت من أجل بناء الجزائر الحديثة عبر جد شارك في الثورة ضد الاستعمار الفرنسي وراح لاحقا ضحية فشل المسار السياسي الذي أعقبها. وأب شيوعي تعرض لمشاكل كبيرة مع النظام المهني. باتت نرجس تمثل في النهاية حيوية جيل شباب يحاول أن يكتشف هويته ومصيره ويشق طريقه الخاص بعيدا عن هيمنة فشل الأجيال السابقة له لبناء دولة وطنية تتسم بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

أما عن تقنية الإخراج فقد خلق الفيلم الطازج دون أن يخطط له عينوز كما صرح بعد عرضه حيث لم يكن بإمكانه تجاهل لحظة تاريخية عظيمة خرج فيها الآلاف من المتظاهرين السلميين إلى شوارع العاصمة الجزائرية واتخذوا قرارا سريعا بمرافقة نرجس في تظاهرة عملاقة أو كما جاء في تتراج الشريط وتوظيف السردية "يوم في حياة متظاهرة جزائرية" عن اختيار الهاتف المحمول لتصوير كل الفيلم ومدى صعوبة أو سهولة ذلك قال عينوز : " لم يكن هناك خيار آخر هنالك أفلام تتطلب أن تصنعها ولا يهم تعريف الجهاز سواء كان كاميرا أو هاتفا محمول المهم وجود عدسة توثق اللحظة "ووفق تعبيره لم يكن منطلقه السنيمائي التصوير shooting بل الالتقاط capting .بالإضافة إلى فكرة ذوبان كاميرا الهاتف وسط الجموع مقارنة بمعدات كبيرة عادة ما تثير تساؤلات المتظاهرين إن كانت تابعة للتلفزيون الرسمي الذي فقدوا فيه الثقة منذ زمن.

لم يكن اختيار نرجس عبثا كبطلة وثائقية في الفيلم فهنالك بلا شك قوة ثمينة تعزز ذلك التماهي بين الوطن والمرأة لكن المفاجئ أن هناك شخصيات نسائية عابرة في الفيلم أقوى من نرجس حضورا أمام الكاميرا فهن نساءفي منتصف عقدهم الخامس يرفعن اللافتات السياسية ويزغردن كأنهن في احتفال بزفاف.[19]

وعليه وجد عينوز في نرجس نسخة معاصرة من ثوار الستينات أجداد، وآباء، وشبان اليوم الذين ناضلوا من أجل استقلال بلادهم وامتلاك قرارهم والنتيجة تسجيل مذهل للاحتجاجات الجماهيرية يجعلنا نشعر كما لو كنا هناك بالفعل في أعماقها عند مشاهدة الفيلم.

ب.على المستوى المسرحي :

في تسع لوحات فنية ينقلنا المخرج المسرحي أحمد زراق من معايشة حراك شعبي تدور أحداثه في الشارع إلى مشاهدة حراك ثان على ركح المسرح من خلال محاكاة متكاملة الأركان للواقع الاجتماعي والسياسي.

تنطلق المسرحية بلوحة زوجين طاعنين في السن يحاولان اقناع ابنهما خاطيني للتخلي عن فكرة الهجرة. وهو آخر الشباب في ذاك البلد الذي لم يتبقى فيه سوى الشيوخ إلا أن أبويه يرفضان فكرة مغادرته خوفا من المصير المجهول. تلاحقه سلطات بلده لمنعه من السفر رغم حصوله على التأشيرة تفاديا للإحراج الذي يسببه أمام الدول لأخرى. [20]

يبرز دور الأم التي ترافع أمام السلطات العليابكل ثقة وشجاعة عن الأسباب التي تدفع الكثير من الشبان لاختيار الهجرة بدل القبوع في الوطن الام بحثا منهم عن امل تحقيق امالهم وطموحاتهم وضمان مستقبل افضل مدافعة في الوقت نفسه عن فلدة كبدها الذي يمثل بالطبع الفئة الشبانية بكل امتياز.

ظف إلى دور صديقته الشابة الطموحة التي نجحت في اقناع الشاب خاطيني على البقاء من أجل النضال والسعي إلى تغيير هذا الواقع بدل الهروب منه ليصل المخرج في الأخير إلى المرحلة الأهم التي يعيشها اليوم وهو الحراك. المشهد الذي تجاوب معه الحضور كثيرا لتنهيه ايمان بكلمة "خلاص" كاشارة منها لنهاية عهد قديم وبداية عهد جديد لجزائر حرة ديمقراطية. وعليه صور المخرج في عمله المسرحي دور المرأة في البيت كأم، وفي السلطة كزوجة رئيس، وفي الحمام كعامة الناس. مع إبراز الفوارق الاجتماعية والمعرفية وتقاسمها للتراكمات المزرية للمجتمع جنبا الى جنب مع الرجل.[21]

من خلال إسقاط اجتماعي بأسلوب كاريكاتوري سواء في اللعب الجسماني او في زي الالبسة البالية الممزقة لدى الشخصيات الشعبية و كلاسيكية متحفية قديمة لممثلي السلطة الدين حققوا هدف فرجوي جسده كوكبة من الممثلين الشباب ومن مختلف الأجيال من أمثال بوحجر بودشيش والد خاطيني عيسى شواط رئيس الجمهورية المعاق ربيع واجاوت قائد أركان الجيش صبرينة قريشي زوجة رئيس الجمهورية وكاتبة خطاباته حورية بهلول فيفي الصحفية وفؤاد بن دبابة بلحملاوي مستشار الرئيس .

وتجسدت اللوحات الكاريكاتورية أيضا في ديكور فضاء التلفزيون والخزانة القديمين في البيت المكتب المتهالك والعتيق لرئيس الجمهورية الحمام الشعبي التقليدي،و المقهى الشعبي البائس. أما العامل الذي حرك كل تلك اللوحات الكاريكاتورية فهو أداء الممثلين المترنحين جميعهم في حركاتهم عدا الشابين خاطيني وصديقة ايمان وسط اصفرار الإنارة التي صبغت الأسلوب الكاريكاتوري المضحك بلون مرضي شاحب ومأساوي مزج كوميديا العرض بإضافات حسية تراجيدية ومنح الطابع التراجي كوميدي للعرض دلالته المكتملة.

أما عن التأثيث السينوغرافي فقد تميزت كل لوحة من لوحات العرض بأثاثها الخاص عبر الفضاءات المكانية بالإضافة إلى توزيع عناصر السينوغرافيا على الخشبة الذي يكون أفقي الانتشار حينما يكون موضوع المشهد خاصا بالسلطة وخطابها ويكون عموديا صاعدا من عمق الخشبة حين يكون موضوع المشهد الشعب وصوته ولهذا التوازن بين الأفقي والعمودي في التأثيث دلالات فنية رمزية بليغة في تقوية الخطاب المسرحي وتسهيل أداء الممثلين لأدوارهم في كل فصل.

الخاتمة

نستخلص مما سبق ان جملة الصعوبات التي واجهتها المرأة الجزائرية في مختلف جوانب الحياة ككسرها للعديد من التابوهات والحواجز التي املتها عليها

العادات والتقاليد البالية ثم تعرضها لأبشع صور التعذيب، الاعتقال، والاغتصاب لمحاولة افشالها في انجاح الثورة التحريرية المجيدة من قبل المعمر الفرنسي.

وكذا صمودها في سنوات الجمر ومكافحتها للإرهاب وصولا الى موقفها الايجابي والفعال في الانتفاضة الشعبية الثقافية التي سميت بالحراك الشعبي ما هي الا عوامل مكنت المراة الجزائرية الحرة من اختراق اوساط كانت حكرا فقط على الرجل. فتقلدت مسؤوليات ووظائف عليا للبلاد وانتزعت احترامها

بجدارة واستحقاق على المستوى الوطني، العربي، وحتى العالمي. فصنعت مستقبل وطموحات شعب بأكمله كما الهمت كبار الفنانين من كتاب شعراء، فنانين تشكيليين، مخرجين مسرحيين، وسينمائيين لتصبح بذلك مدرسة للجمال، الكفاح، الصمود والمقاومة.

قائمة المراجع:

1- بن عمر سارة، لخضر منصوري، جماليات الفضاء بين المسرح والسينما، دراسة تحليلية وصفية، مجلة آفاق سينمائية، المجلد 07، ع 01 ،جوان 2020 ، ص 383 -384

2- نفس المصدر ص 384
3- كريمة بن منصور، + + إتجاهات السينما الجزائرية في الألفية الثالثة ، مذكرة شهادة الدكتوراه ، كلية الآداب و اللغات و الفنون ، جامعة وهران 2013-2014 ، ص25 .
4- المدني أحمد توفيق ،حياة الكفاح ، ج3 ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1981 ، ص 18 .
5- إدريس قرقوة ، لالة فاطمة نسومر (المرأة الصقر) دار الغرب للنشر والتوزيع ط ع ، ص 18 .
6- بوزيدي محمد ، جماليات فضاء القرية في السينما الجزائرية ، فيلم فاطمة نسومر نموذجا ، مجلة آفاق سينيمائية ، ع 4 ، ص 68
7- نفس المصدر ص 68 .
8- سلمى مساعدي ، عنوان المداخلة : صورة المرأة الجزائرية من خلال الأفلام السينمائية ، مقاربة تحليلية لعينة من أفلام الثورة التحريرية ، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي ، 20 مارس 2018 /البريد الإلكتروني selmabiba01@gmail.com
9- فائزة مصطفى ، صونيا لمسرح جميلات الجزائر. http://al.akhbar.com/littérature 17/0/2023 11 :23 h
10- الجميلات تجسيد نضال الجزائريات ضد الاستعمار الفرنسي http://www.alittihad.ae 11 :51 17/04/2023
11- فائزة مصطفى مصدر سابق
12- نفس المصدر
13- رقية تيماني ،عائشة خليفي ، حالة المرأة في روايات العشرية السوداء ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب الجزائري 2018 ، ص06
14- مدزنة رشدي رضوان في السينما و الأدب ، فيلم غطور الجزائر http:// cinebookdz.blogspot.com 2023/04/14 9 h :29
15- رضوان.ق استحضار مأساة العشرية السوداء و دور المرأة المقاومة http://www.el-massa.com 2023/04/14 9h :43
16- نفس المصدر
17- نفس المصدر
18- عبد الكريم قادري ، "ترجس غ " عدسة تقفوا أثار فتاة جزائرية ثائرة http:// doc.aljazeera.net 2023/05/16 11h :49
19- صفاء الصالح "ترجس ع" ،فيلم عن المقاومة بالأمل و الفرح، ثورة الابتسامة بالجزائر http://www.bbc.com 2023/04/17 06 : 05h

20- نجمة زقرور ، .....الاجتماغي في مسرحية "خاطيني " ، دراسة في ضوء التحليل المحادي – المجلد الثاني ، ع 2 –اكتوبر 2021

21- محمد الأمين بحري، مسرحية "خاطيني " ، أحمد رزاق ، الرهان الفني للمسرح الشعبوي http://www. atitheatre.ae 17/04/2023 05 h:46